مـا يزيـد علـى العشـرة ، وعرض غيره ممـن جاء بعده عشرات ، وما زال كثير يتابعه ويقدس ما قالـه بغير حق ولا سداد .

هـ) ويقول ابن مالك فى « الفيتـه » : « ونعتـوا بمصدر كثيرا» ، فيجىء شارحه الاشمونى ويقول : مع كثرته مقصور على السماع . فكيف يصح الحكم بانه كثير ومع كثرته مقصور على السماع ؟ .

(و) ويقول ابن مالك ايضا :

فعل قياس مصـدر المعـدَّى
من ذى ثـلاثـة ، كـردّ ردّا

فيقول سيبويه : هذا مقصور على السماع الوارد لا يجوز مخالفته ، فان لم يرد للفعل مصدر مسموع لجانا للقياس . فهل هذا مما تقبله العقول المفكرة المتثبتة ؟

وبعد . فما الذى ابغيه من كل ما سلف ؟ اريد ان اقرر باب الاجتهاد اللغوى مفتوح ، والدخول منه ميسور لمن شاء مادام مسلحا بنور العلم ، وسداد الـرأى ، والبعد عن الافراط والتفريط ، والميل الى التيسير فى غير افساد ولا تحجر ولا جمود ، وان نحرم التأويل فى كتاب الله بغير حاجة ملحة تدعو الى التأويل . ومن العجائب أن نؤمن عن يقين واطمئنان أن القرآن الكريم أسمى لغة بيانية عرفتها البشرية فاذا حاكاه الاديب والمثقف حكمنا على المحاكاة احيانا بالخطأ فى بعض مناحيها . فان دافع المتكلم عن نفسه وقال انى احاكى القرآن واسير على نهجه كان الجواب: «القرآن مؤول اما انت فمخطئ» فهل يخطىء من يحاكى القرآن ؟ واذا ساغ لهم تأويل القرآن فليستسيغوا تأويل غيره مـن باب أولـى دون تخطئته مع ثبوت محاكاته .

لسنا اليوم بالبصريين ، ولا الكوفيين ، ولا غيرهم من نحاة المشارقة والمغاربة وليست الدواعى التـى كانت قائمة اذ ذاك بباقية اليوم ، وليست الدوافع التى تـدفعنـا الـى التجـديـد والتنقيـح والتيسـير حينـا والتشـدد حينـا ممـا يهمـل امـره ، او يغفـل شأنـه . فعلينـا واجـب يفـرضه الحـب للغتنا ، والحفاظ عليها ، والاخلاص لبلادنا ومتعلمينا ، هو : ان نخلص النحو من شوائبه فى غير تسرع ولا تخلف ، وان نقضى على ما ذاع وشاع مما أسأنا فهمه فاسأنا الى اللغة تبعا لذلك ، كالذى تردده بعض الالسنة من مثل : (فى ضبط هذه الكلمة قولان او اقوال) (هـل المعنى فرع الاعراب ؟ هل الاعراب فرع المعنى؟) (حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وكفى) (فى الكلام تضمين) الى أمثال هذه الشائعات التى افسدت علينا جـوانب من سلامة الاسلوب ، اذ لم يتضح المراد الحق منهـا لكثير ممن يتشدقون بها ، ولم يتبين لهم الغرض الصحيح الذى رمى اليـه مبتكـروها .

علينا ان نعرض قواعد النحو على القرآن الكريم، والصحيح من احاديث الرسول ، والفصيح من كـلام العرب ، دون اعتبار لتميم او قيـس او غيرهما مـن القبائل الستة التى اقتصر جامعو اللغة عليها مـع مـا فيها من تخالف وتعارض وزاد الامر اساءة انهم تركوا القبائل الكثيرة الاخرى مقتصرين بغير حق على تلـك القبائل الست المتخالفة ، وكان من جراء هـذا وذاك البلبلة النحوية التى نشاهدها اليوم ، وان نأخذ بالخطة الحكيمة البارعة التى اختطها احد المحققين من ثقات الباحثين ونلخصها فى الاقتصار فى ضبط الحروف ضبطا اعرابيا على ما ورد فى القرآن الكريم وفى المراجع السالفة، وفى الثابت من كلام القدماء ، دون ان نسمح بتعـدد الضبوط الاعرابية فى الكلمة الواحدة ، ودون ان نطلق عليها الا اسما اصطلاحيا واحدا . فمن الافساد ان نقول ان هذه الكلمة تصلح ان تكون حالا ، وتمييزا ، ومفعولا مطلقا ، ومفعولا به ، أو معه ، لا يصح أن نقول هذا ؛ لما فيه من اهدار لمهمة خاصة يؤديها كل نوع على انفراد والغاء لفائدته التى يتميز بها ، والمراد الحق منه . وليس بعد هذا فساد واضطراب .

اما متن اللغة الذى يشمل مفرداتها ومادتها فلنا ان نأخذ منه ما نشاء من هذه القبيلة ومن تلك ، دون توقف او تردد ، ففى هذا الاخذ الحر المسموع عنهـم اثراء اللغة ، وتمكين لها ، وزيادة محمودة طيبة الاثر .

ايها السادة :

من اجدر بتحقيق هذا الامل وانجاز الخطة القويمة الجديرة به أو بما يماثله من حكيم الخطط وبارع الابتكار؟ انهم علماء مجامعنا الاعلام ، وسدنة لغتها الاشذاذ واليهم تتجه العيون والقلوب . بهذا يضيفون الى فضل القدامى فضلا جديدا لا يجحد ، وخالدا لا يمحى .

كـان بـودى أن أعـرض لكثـير مـن الشوائـب الاخـرى كلغـة النحـاة ، وجـدلهـم فى مجالسهـم ، ووهـن حـجـجـهـم وادلتهـم ،

وما يتخللها من الفاظ واشارات ، ولكن الوقت سواق حطم ، يدفعنى الى النهاية ، ويابى المزيد . ولا يفوتنى وانا اشير الى تعليلاتهم التى تورث العلة احيانا — ان ادعو القارئ لمتابعة كتاب «كالانصاف فى اسباب الخلاف» لابن الانبارى ، او كتاب «الروضة» ، ، ليقرأ ويشهد أبرع أنواع المنطق ولكن فى غير موضعه ، الراى المحكم ولكن فى غير مكانه ، والاطالة فى غير افادة ، والاستطالة على الواقع بهرج القول وخادع الكلام .

وفق الله المجامع ورجالها الى مافيه صون اللغة وبقاؤها على الايام خالدة ناهضة . والسلام على من اتبع الهدى .

التعريب ضرورة في الجامعات العربية

للدكتور
عبد الوهاب محمد عامر

أستاذ مساعد بكلية الهندسة ـ جامعة القاهرة (*)

في القرن السابع الميلادى قال الرسول العربى «فضل العلم خير من فضل العبادة» ، كما قال عليه الصلاة والسلام «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » · ومصادر الاسلام زاخرة بالحث على طلب العلم والحض على مواصلة البحث والرفع من منزلة العلم والعلماء · ولقد ظهرت هذه المبادىء فى مجتمع قبلى متزمت أحدثت فيه هزة عنيفة وجعلت منه مجتمعا خلاقا يؤمن بالروح والمادة فى آن واحد ، ويتفكر فى ذاته وفى كل ما حوله ، ويرجع كل سبب الى مسبباته · وقد ساعد ذلك على التحرر من القيود والمعوقات مما أدى الى خلق المناخ الملائم للانطلاق الفكرى · ولم تنشأ العلوم الوضعية فى صدر الاسلام من فراغ أو بحكم الصدفة ، وانما تم ذلك تمشيا مع خطة ثابتة تبين بوضوح دور كل عامل من العوامل المختلفة واثره فى احداث تلك النهضة الشاملة ·

ولعل من أقوى الدعائم التى ارتكزت عليها النهضة العلمية فى صدر الاسلام هى حركة التعريب الواسعة النطاق التى نقلت الى المكتبة العلمية العربية نفائس التراث القديم من الشرق والغرب ، بعد أن كانت هذه المكتبة من قبل غير واضحة المعالم · ومع هذا الاسلوب العلمى الناضج أصبح من اليسير لكل راغب فى علم أن يجد فى متناول يديه كل مايبغيه من مصادر شتى فى تلك المكتبة الغنية المتكاملة · وكانت النتيجة المباشرة لذلك ظهور انتاج علمى غزير مكتوب بلغة عربية سليمة عم أرجاء الدولة الاسلامية العربية ·

والتاريخ زاخر بالامثلة التى تمثل نمو الحضارات بفضل نقل العلوم والمعارف من لغة الى أخرى · ولا يقتصر الامر عند ذلك بل يتعداه الى أن الدول المتقدمة فى عصرنا هذا ما فتئت تمارس نفس العمل كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، حيث يترجم كل عن الآخر بنشاط وحماس شديدين المراجع الهامة والمجلات والدوريات العلمية أولا بأول كما لا يخفى على أحد مايسمى «برنامج اسرائيل للترجمة العلمية» ·

ولما كانت الجامعات فى عصرنا الحالى فى مقدمة المؤسسات التى تحمل على عاتقها مسؤولية نشر وتطوير العلم والمعرفة فان موضوع الترجمة يمسها عن قرب · والموضوع المطروح للبحث هو : هل ينبغى للجامعات فى الدول التى تكافح من أجل أن تحتل مكانها المناسب أن تستخدم لغات الدول المتقدمة ؟ ولا شك أن هذه القضية تثير جدلا طويلا حيث انه لكل من النفى والايجاب مايؤيده من دلائل وحجج ، غير أن الامر يحتاج الى بحث عقلانى بعيد عن الانفعال والتعصب مع الاخذ فى الاعتبار المكسب والخسارة فى الحالتين على المدى الطويل · ولقد تصدى لهذه القضية فى السنوات الاخيرة الافراد والهيئات فى الوطن العربى ، فنشرت البحوث

(*) عن مجلة اتحاد الجامعات العربية العدد التاسع مارس 1976 .

البناءة وبذلت الجهود المشكورة من جانب مجمع اللغة العربية : وعقدت المؤتمرات العلمية العربية التى كان آخرها مؤتمر مجمع اللغة العربية الذى عقد فى بغداد فى نوفمبر سنة 1965 · كما بذلت المحاولات من جانب المجلس الاعلى للبحث العلمى لاصدار معجم عربى موحد لكنها لم تؤت ثمارها · ودق المخلصون ناقوس الخطر فى مختلف أرجاء الوطن العربى لتدارك الوضع الذى ينذر بانفراط امر اللغة فى المجالات العلمية ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى البحوث القيمة التى قدمت للمؤتمر العام الثانى لاتحاد الجامعات العربية (1) ، حيث اجمعت كل البحوث على ضرورة التعريب فى الجامعات العربية · ويحاول هذا البحث بلورة ما وصلت اليه المجهودات السابقة فى علاج هذه القضية مع وضع تصور يكفل نجاح سياسة التعريب على المدى الطويل باسلوب علمى مدروس يهدف الى تحقيق غايتين : اولا انتشار العلوم التقنية الحديثة على المستويات والقطاعات المختلفة فى المجتمع ، ثانيا الارتباط العلمى بالتطورات المستمرة الجارية فى الدول المتقدمة مع اتقان لغات هذه الدول ·

التناقض اللغوى فى التدريس بالكليات العملية :

ورد فى قانون تنظيم الجامعات المصرية — على سبيل المثال — أن العربية هى لغة التدريس بها ، غير ان معظم الكليات العملية حصلت على استثناء من العمل بهذا النص حتى الآن (2) ، ومنذ عشرات من السنين خلت كانت تلقى محاضرات باللغة الانجليزية فى كليات عملية بهذه الجامعة دون النطق بكلمة عربية واحدة ، ولم يكن يشذ عن هذه القاعدة الكثير من المحاضرين العرب انفسهم ، غير أن طالب تلك الايام كان يتقن الانجليزية قراءة وكتابة وكلاما ، اذ كان يتعلمها فى المدارس منذ نعومة اظفاره وعلى ايدى معلمين انجليز غالبا ، فكان الطالب يطلع على المراجع الانجليزية فى سهولة ويسر · أما ما وصل اليه مستوى اللغات الاوربية عند طالب الكليات العملية اليوم فهو غنى عن البيان ، ومن ثم وجد الطالب نفسه فى موقف هو غير مستعد له تماما · وهذا انعكس بدوره على الأستاذ فى بعض الحالات اذ لم يجد بدا من وضع مذكرات ملخصة فى اسلوب مبسط حتى يساعد الطالب على تخطى حاجز اللغة الذى يحجبه عن الموضوع العلمى ، أما المرجع العلمى ، الاجنبى فظل قابعا على رفوف المكتبات لايجد من يتداوله الا نادرا ·

ان الواقع يتحدث عن نفسه بأن المحاضرات تلقى باللغة العربية فى معظم كلياتنا العملية اذا كان المحاضر عربيا — فيما عدا المصطلحات العلمية والمعادلات الرياضية وغيرها حيث تكتب بالرموز الدولية المتفق عليها — فليس اصعب على العربى من أن يخاطب عربيا بلغة اجنبية · أما اذا كان المحاضر غير عربى فالمحاضرات تلقى بالانجليزية اسما ، أما فعلا فتلقى بالانجليزية على الطريقة الباكستانية او الهندية واحيانا اليوغوسلافية او غيرها · والضحية دائما هى الطالب الذى يرى انه لزاما عليه ان يتابع المادة العلمية فى محاضرات طويلة بلهجات انجليزية غريبة على اذنه بجانب أن اللغة نفسها بعيدة عن عقله وتفكيره · وقد لمس كاتب البحث ذلك بنفسه اثناء فترة اعارته لجامعة طرابلس ، فعلى الرغم من ان الطالب يدرس اللغة الانجليزية فى الجامعة مع اساتذة برطانيين على مستوى رفيع من الخبرة ومن خريجى اكسفورد وما شاكلها ، وعلى الرغم من معامل اللغات ذات الامكانيات الفائقة التى وفرتها الجامعة كوسيلة متقدمة لتعليم اللغات ، يجد الطالب صعوبة فى متابعة الدراسة والتعامل بهذه اللغة ، مع دوام الشكوى من التعثر فى تتبع المحاضرين غير العرب اثناء محاضراتهم بسبب اللغة ·

التعريب فى الجامعات العربية ضرورة حتمية

باستعراض اللغات المستعملة حاليا فى جامعات البلدان الصغيرة ذات القوميات المحدودة والتى قطعت شوطا طيبا فى مضمار التقدم — مثل يوغوسلافيا ورومانيا والمجر وغيرها — يتضح انها لا تشذ عن قاعدة استخدام لغاتها القومية حتى فى اعقد العلوم واكثرها تطورا ، وهذا لم يكن ليحدث لو لم تتوفر مكتبة

(1) «استخدام اللغة العربية فى التعليم العالى» المؤتمر العام الثانى — اتحاد الجامعات العربية — القاهرة — فبراير (شباط) 1973

(2) د ، عبد الحليم منتصر : «اللغة العربية لغة التدريس فى الجامعات العربية» · المؤتمر العام الثانى — اتحاد الجامعات العربية — القاهرة — فبراير (شباط) 1973

متكاملة تضمها تلك اللغات ، سواء كانت محتويات هذه المكتبة وطنية الاصل ام مترجمة عن لغات اخرى. لذلك فالمطالبة بتعريب التدريس فى جامعاتنا العربية لا تعنى تعصبا اعمى للغتنا القومية بقدر ما هى ضرورة ملحة وأمر حتمى للاسباب التالية :

اولا : اسبـــاب قـــوميـــة

ما من شك فى أن اللغة العربية هى جامعة العرب، وان وجود لغة عربية علمية للاستعمال فى شتى انحاء الوطن العربى يبعث على التضامن والتكامل العربـــى ويثبت مفهوم الوحدة العربية · ولقد بدانا مؤخرا نرى تضاربا واضحا وتباينا كبيرا فى استخدام المصطلحات والمفردات الجديدة التى استحدثتها التطورات العلمية وما زالت فى الاقطار العربية المختلفة (3) و (4) · واذا ترك الحبل على الغارب فى هذا الشان فسوف يستفحل الامر ويصعب تداركه ، وتصبح الوحدة الفكرية بـــين العرب امرا بعيد المنال عمليا ·

واستخدام العربية كلغة علم ليس بدعة ، فقد كانت هذه اللغة رائدة فى مجالات العلوم لعدة قرون ، والمعلوم أن حركة الترجمة الواسعة التى نقلت الكثير من المكتبة العربية الى اللغات الاوروبية لعبـــت دورا اساسيا فى الانطلاقة الاوربية فى عصر النهضة ، ومـــا زالت بصمات لغة الضاد باقية حتى الآن فى لغات اوربا مثل الصفر والجبر والقلوى والكحول وغيرها ممـــا يضيق عنه المقام هنا · لذلك فالقول بأن العربية لا تصلح كلغة علم باطل من اساسه لانه من غير المقبول منطقيا أن تكون العربية لغة علم فى عصر دون عصر ·

واللغة العربية غنية بامكانياتها اللفظية الضخمة وتتمتع بمرونة هائلة فى الاشتقاق والقياس على الاوزان الكثيرة المستعملة (5) ، غير أن ذلك قد يصبح سببـــا معاكسا لسياسة التعريب ، فهناك بعض الجامعـــات الطموحة التى سبقت فى مضمار التعريب منفردة وقامت بجهود مشكورة ، الا انها وقعت فى مازق الاجتهـــاد فى تعريب الكثير من المصطلحات العلمية ، مما قد يعتبر بداية لظهور لغات علمية عربية اقليمية بسبب التباين فى استعمال الفاظ عربية متنوعة للتعبير عن معنى واحد، من ذلك يتضح أن ايجاد المصطلح العلمى العربى لايبدو فى حد ذاته مشكلة صعبة اذا ما اتفق العرب جميعهم على الالتزام به ، لكن الصعوبة الحقيقية تكمـــن وراء التعبير العلمى الصحيح وتركيب الجملـــة السليمـــة وتداعى الافكار المنطقى ، لان اللغة كيان فكرى ونفسى ووسيلة فعالة للتعبير والاقناع ، وبالتالى فان التفكير بلغة اللسان الاصيلة اجدى واكفأ من الالتجاء الى لغات اجنبيـــة ! !

حفاظا على مستقبل الوحدة العربية وتمسكـــا بركب الحضارة الذى تزداد سرعته يوما بعد يوم فانه يلزم بدء معركة التعريب فورا وعلى مستوى الوطـــن العربى كله ، ولن يكتب لاى محاولة للتعريب النجاح اذا هى قامت على مجهودات منفصلـــة سواء علـــى مستوى الدول او الجامعات او الافراد ، لكن يجب ان يتم ذلك بتنسيق كامل بين الدول العربية ، وقد يكون انسب موقع لبدء سياسة التعريب هو جامعة الدول العربية او اى جهة اخرى على مستوى المسؤولية ، مع عدم ربط هذه السياسة بموافقة الـــدول كلهـــا او بعضها حتى لاتصبح امرا بالغ التعقيد بطىء الحركة ، على اعتبار أنها قضية قومية غير مطروحـــة للجـــدل والنقاش · وهذا يتطلب اولا النهوض بمستوى اللغـــة العربية فى المدارس واتقان الفصحى والالتـــزام بهـــا وتضييق الفجوة بينها وبين العاميـــة ·

ثانيا ــ اسباب تعليميـــة :

ان استخدام اللغة العربية فى التدريس بجامعاتنا ومعاهدنا العلمية والتقنية سوف يسهل الى درجـــة كبيرة مهمة التحصيل على الطالب ويزيد من قدرته على استيعاب العلوم ، ويوفر له الوقت الضائع فى البحث عن التراجم ومعانى الالفاظ فى القواميس ، كما انه يعمـــل على سرعة تفهم الامور الغامضة والمسائل المعقدة ، ويساعد الطالب على التعبير عـــن نفسه والانطـــلاق المتحرر فى التفكير والتحصيل · وهذا لايعتبر دعـــوة لمقاطعة اللغات الحية ، اذ ان معرفة اللغة والدراسة

(3) المؤتمر العلمى العربى الثانى ، القاهرة 1955
(4) المؤتمر العلمى العربى الثالث ، بيروت 1957
(5) د ، عبد الملك عبد الرحمن ابو عوف : «امكانية استخدام اللغة العربية فى التعليم العالى» . المؤتمر العام الثانى ــ اتحاد الجامعات العربية ــ القاهرة ــ فبراير (شباط) 1973

بها امران مختلفان · وليس المجال هنا لبيان الاهمية القصوى لمعرفة اكثر من لغة اجنبية ، لان عملية التعريب لا تتنافى باى شكل من الاشكال مع الاهتمام باللغات الحية ، بل على العكس تؤكد اهمية تدريس هذه اللغات وبصورة اكثر كفاءة وفعالية فى مراحل الدراسة المختلفة ·

ان كليات الهندسة والطب هى اكثر الكليات فى الوقت الحاضر استعمالا للغات الاجنبية فى التدريس وعلى نطاق واسع ، ويلاحظ القائمون على التدريس فى هذه الكليات هبوطا مستمرا فى مستوى اللغات الاجنبية عند الطلاب مما يزيد الامر تعقيدا ، فاذا ما حاول الطالب العادى الاطلاع على المراجع الاجنبية فانه يصطدم بحاجز اللغة الذى يكبل تفكيره ويصرفه عن الموضوع وينفصله عن تتبع تسلسل المعانى مما يضطره الى بذل مجهود مضاعف وفقد كثير من الوقت فى محاولة استيعاب اجزاء يسيرة وصفحات معدودة لانه يشتت طاقته الفكرية فى ناحيتين مختلفتين : اولهما فهم المقصود اللفظى وثانيهما استيعاب المغزى العلمى · وناهيك بما يحدث اثناء الامتحانات التحريرية والارتباك الذى يقع فيه الطالب العادى بسبب كلمة غاب عنه معناها او سؤال اضناه تفكيره لتفسير الغرض منه ، حتى اصبح امرا طبيعيا مرور المتحنين فى قاعات الامتحانات لترجمة وتعريب ما استعصى على الطلاب من كلمات فى ورقة الاسئلة وبيان المقصود من السؤال · ولو ما حاسبنا الطلاب فى اوراق اجاباتهم لغويا لامست النتيجة بائسة ، فغالبا ماتكون لغتهم ركيكة الى درجة مؤسفة ·

وهناك جانب آخر من القضية لا يقل اهمية وهو ان الكثير من اعضاء هيئات التدريس فى جامعاتنا قد اتموا دراساتهم العليا فى دول غير ناطقة بالانجليزية او الفرنسية (وهما اللغتان الشائعتان فى الجامعات العربية) ، وهذا بدوره يخلق صعوبات اخرى ليست بسيطة وغير خافية على احد ·

كان الامر مقبولا وقتما كانت الجامعات العربية تفتقر الى العناصر الوطنية ضمن هيئات التدريس ، ولم يكن هناك بد من دعوة الاساتذة الاجانب ليحاضروا بلغاتهم · وقد اختلفت هذه الصورة منذ سنوات بعد ان زادت اعداد الوطنيين المؤهلين بالقدر الذى يسمح ببدء مرحلة التعريب ·

ان القول بتأجيل تعريب الدراسة فى جامعاتنا لحين ارتفاع مكانتنا الحضارية والعلمية وحتى نخرج من مرحلة التقليد الى مرحلة الاصالة والابداع (6) لامر يدعو الى الدهشة ، لان ارتفاع هذه المكانة والخروج من تلك المرحلة لن يتما الا بالتعريب · ان نظرة واقعية لمستوى الدراسة فى اغلب الجامعات العربية تظهر لنا مدى التدهور المستمر والذى لا يرجى له اصلاح فى ظل الاوضاع والظروف الحالية · وعلينا تعرية المشكلة ومقابلتها بشجاعة حتى يتسنى وضع الحلول المناسبة لها ، على الا تكون حلولا عفوية بل لابد من الدراسة والتمحيص الذى تؤدى الى وضع مخطط طويل وسياسة بعيدة النظر تمهد لتعميم التعريب تدريجيا فى جامعاتنا حتى نبدأ فى التنفيذ لتجنى الثمار اجيال اخرى ·

واذا كان المقصود بتعريب التدريس هو ما ينصب على الدرجة الجامعية الاولى فان المراحل التى تليها — وهى التى تهتم بالتخصصات الدقيقة والابحاث — لا تشذ عن هذه القاعدة ، فليس هناك تناقض او غضاضة فى ان يقوم باحث عربى فى جامعة عربية بكتابة اطروحة الدكتوراه مثلا بالعربية الفصحى فى موضوع علمى او تقنى مستخدما المراجع والدوريات والمجلات العلمية من ثلاث او اربع لغات · ثم كيف يكون منطقيا ان يكتب الباحث العربى اطروحته باليابانية او بالروسية فى تلك البلاد ثم لا نقبلها منه بالعربية فى وطننا · ان كل طالب دكتوراه فى جامعات ومعاهد الدول المتقدمة يؤدى امتحانا فى لغتين اجنبيتين تكونان بمثابة نافذتين يطل منهما على علوم ومعارف هاتين اللغتين · ان اصحاب راى تأجيل التعريب الى ما بعد الخروج من مرحلة التقليد الى الابداع فى ظل ظروف جامعاتنا حاليا — عليهم ان يبشروا بطول انتظار ·

ثالثا — اسباب اقتصادية :

ان لعملية التعريب تأثيرا غير مباشر على النواحى الاقتصادية داخل الاقطار العربية وعلى تقدمها حضاريا على وجه العموم ، اذ ان تخريج اجيال من المتعلمين الجامعيين وغيرهم ممن يتلقون دراساتهم التقنية باللغة

---

(6) د · محمد حسن ابراهيم : «استخدام اللغة العربية فى التعليم الجامعى» · المؤتمر العام الثانى — اتحاد الجامعات العربية — القاهرة — فبراير (شباط) 1973

العربية ليعتبر من الدعائم الاساسية لخلق المجتمع الصناعى المتكامل الذى نصبو اليه · فلا مفر لذلك من وجود قاعدة عريضة من المتعلمين والمتخصصين والفنيين الذين يستخدمون نفس اللغة والمصطلحات فى دراستهم وتطبيقاتهم على حد سواء · وهذا بدوره يلغى الهوة بين الجامعيين والجهاز الفنى الذى يتعاونون معه فى الانتاج والتطبيق من الفنيين والعمال والمساعدين ، كما يسهل التعاون والتفاهم فيما بينهم ويعمل على الارتباط وحسن سير العمل والتغلب على العقبة الرئيسية فى هذا السبيل وهى تسلسل الاوامر والتعليمات على المستويات المختلفة مما يؤدى حتما الى زيادة الانتاج ·

اسلوب التعريب :

ان عملية التعريب بمعناها الواسع تعنى باختصار توفير المصطلحات والقواميس العلمية وتطوير اللغة العربية فى نواح متعددة بجانب اعداد المراجع والكتب والمجلات العلمية والدوريات وترجمة مستمرة للانتاج العلمى الرفيع فى العالم المتطور ، ثم طبع الانتاج المعرب ونشره وتعميمه فى المؤسسات العلمية العربية · وعملية التعريب لا يمكن ان تحقق اغراضها وفى فترة زمنية معقولة ما لم تقم على خطط مدروسة تقع مسؤولية تنفيذها على عاتق هيئة متفرغة تنشأ خصيصا لهذا الغرض (2) و (7) ·

كما ان محاولة البدء بالتعريب فى الجامعات لايمكن على الاطلاق ان يكون بديلا لقيام هذه الهيئة لان ذلك سيصبح مجرد جهد شبه فردى لايحقق الهدف العام ، وقد يكون له نتائج عكسية من حيث فشل المشروع باكمله · ان هناك نشاطات فردية وشبه فردية لا يمكن انكار اهميتها ظهرت فى المؤتمرات العلمية العربية (1953 ــ 1966) ، الا انها فى نفس الوقت قاصرة عن نقل العالم العربى كله الى حالة من التعريب الكامل · غير ان وجود هذه الهيئة المتفرغة بشخصيتها الاعتبارية ومخططاتها وميزانيتها المستقلة يضمن استمراريتها للاضطلاع بالدور الثقيل الذى سوف يوكل اليها القيام به · وليكن اسمها « هيئة التعريب العلمى » او « اتحاد التعريب العلمى» · ويتم تشكيلها بصفة عربية دولية ويدعى اليها ممثلو الاتحادات والهيئات العلمية المعنيون بشؤون التعريب لوضع الخطط والبرامج لسياسة التعريب بعد عمل مسح شامل للتخصصات العلمية المختلفة واستعراض المراجع العربية المتوفرة ، ثم حصر الثغرات ونواحى النقص التى تفتقر اليها المكتبة العربية ، وبعد ذلك وضع مخطط عام للترجمة والتاليف بالعربية فى مختلف نواحى العلوم ، وفى الحالتين يبين فى المخطط التخصصات المطلوب التاليف او الترجمة فيها ــ وقد يكون من الانسب احيانا البدء بالترجمة حيث تعتبر خطوة اولى نحو التاليف ، وهنا ينبغى ان تحدد الخطة اسماء الكتب والمراجع المرشحة للترجمة · ومن الضرورى أن تتم الخطة تدريجيا حسب مراحل متتالية وبعد تامين الشروط الموضوعية لضمان نجاح كل مرحلة على حدة بجانب المراحل مجتمعة ·

ولا بد من رصد ميزانية سخية لهذه الهيئة لتغطية مكافآت الترجمة والتاليف بجانب تكاليف الطباعة والنشر · ولا يغيب عن احد مقدار العائد الذى سوف يجنيه الوطن العربى على المدى الطويل ·

وقد يتسع مجال عمل هذه الهيئة مستقبلا فتعمل على ترجمة قضايانا القومية ومبادئنا السامية وافكارنا الانسانية الى اللغات الحية وضمان نشرها على العالم بالصورة التى نبغيها حتى نضع نهاية للعزلة التى قاسينا منها طويلا ·

ختام :

ان التعريب ضرورة حتمية وعلينا ان ننظر اليه على انه قضية متكاملة تشمل جميع نواحى النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية . وبالتالى لا يمكن قصرها على صعيد تعريب المناهج الدراسية فى الجامعات . وان اى جهد يبذل فى هذا الصدد ما لم يكن متناسقا مع مجهودات مماثلة فى المجالات المختلفة ضمن مخطط شامل يصبح نجاح التعريب موضع شك كبير · لذلك يجب ان يتم تعريب الدراسة الجامعية بالتنسيق او كجزء مكمل لعمل هيئة مسؤولة ومتفرغة على مستوى الوطن العربى · والدعوة قائمة لانشاء « هيئة التعريب العلمى» تكون مهمتها وضع خطة عمل وبرنامج شامل يضمن استمرارية عملية التعريب بجانب حصر الكفاءات العلمية العربية التى تتوافر فيها صفات خاصة مثل الاهتمام الفعلى بمسالة التعريب مع اجادة اللغات العلمية الحية والاستعداد الشخصى للمشاركة فى هذا العمل ·

---

(7) د· جميل الملائكة : «استخدام اللغة العربية فى التعليم العالى » ــ المؤتمر العام الثانى ، اتحاد الجامعات ــ القاهرة ــ فبراير (شباط) 1973 ·

أنبـــاء وآراء

الصفحة

I ــ المنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

1 ــ فـــى المـــؤتمـــرات :

ا ــ الاسلام ومشاكـــل القـــرن العشريـــن
للاســـتـــاذ عبـــد العـــزيـــز بنعبـــد الله 207

ب ــ الرحـــلات الحجـــازيـــة وصلـــة بين شتى العروبة
للاســـتـــاذ عبـــد العـــزيـــز بنعبـــد الله 211

2 ــ جهـــود المنظمـــة :

ا ــ مؤتمر الشؤون الثقافية فى الوطن العربى 218

ب ــ نشـــر اللغـــة والثقـــافـــة العـــربيـــة 220

ج ــ تنميـــة تـــدريس العربيـــة فى باكستـــان 223

3 ــ اللغـــة العـــربيـــة بين شعـــوب العـــالم 230

4 ــ انبـــاء المنظمـــة 232

II ــ مكتب تنسيـــق التعـــريب :

1 ــ اللجنـــة الاستشـــاريـــة لمكتب تنسيـــق التعـــريب 240

2 ــ التخطيـــط الثـــلاثـــى (78 ــ 1980) 243

3 ــ انبـــاء المكتب :

ا ــ اخـــبـــار 247

ب ــ مـــع القـــراء 251

ج ــ قـــالت الصحـــافـــة 254

الاسلام ومشاكل القرن العشرين

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

انعقد فى قرطبة بين 21 و 27 مارس 1977 المؤتمر الاسلامى المسيحى العالمى الثانى امتدادا للمؤتمر الاول الذى انعقد منذ سنتين بنفس المدينة ، وكان موضوع هذا اللقاء هو شخصية سيدنا محمد وشخصية سيدنا عيسى عليهما السلام .

وفيما يلى موجز تدخل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

قال الفيلسوف برناردشو : «لو كان محمد حيا اليوم لحل مشاكل عصرنا وهو يشرب فنجان قهوة .»

نعم ان رسول الاسلام قد خرق بفكره الثاقب المعزز بالوحى غياهب الحضارات ، وحرر ابعاد الفكر البشرى ليستشف فى بساطة ممتنعة الحلول المثلى لمشاكل الانسانية فى مختلف الاعصار والامصار .

لقد شملت نظراته الكاشفة شتى تطورات الانسان فى معالجات فكرية واقتصادية واجتماعية يندهش الفكر العلمى الناقد اليوم لمدى انطباقها على معطيات انبعاثه المتجددة ، وتحديات هذا الانبعاث .

وسوف نستعرض نماذج من هذه البادرات انطلاقا من نصوص الاحاديث الصحيحة التى أوصلها الامام احمد بن حنبل الى المليون اى الف الف بلغة ذلك العصر ، ولكن نقد رواة الحديث لم يحتفظ منها باكثر من خمسة آلاف هى قصارى ما ورد فى الصحاح كالموطأ والبخارى ومسلم وبعض السنن والمسانيد ، فاذا رجعنا الى الاصول المنتقاة متتبعين سلسلة الاسانيد التى تعتبر احد مفاخر الفكر العلمى الاسلامى — لما انطوت عليه من تدقيقات وتحريات — امكننا ان نستخلص فى وضوح جملة من الافكار الاسلامية التى دعم بها سيدنا محمد عليه السلام هيكل الاسلام فى مقوماته الجوهرية ولن يكون بحثنا — نظرا لضيق المقام — مستقصيا ولا مستوفيا ، ولكن انتقائيا ، نستكمل جوانب النقص فيه بالاجابة عما يعن لحضراتكم من اسئلة استيضاحية .

فلنبدأ بالجانب الاجتماعى فى آراء ونظريات الرسول عليه السلام ، فقد بلغت الاحاديث ذات الطابع الاجتماعى حسب احصاء قمت به شخصيا نحو اربعة اخماس المجموع وضعت كلها حلولا رصينة لقضايا المجتمع .

ويشكل هذا المجموع ما يمكن ان نسميه تجوزا ينجذب اليها كثير من شبابنا ومن هذه الايديولوجيات مذهب الماركسية الذى تواجهه فى الاسلام فكرة العدالة الاجتماعية والتعادلية الاقتصادية ، فاذا اعتبرنا ان الماركسية ترتكز على ثلاث دعامات أساسية هى الحد الحيوى الادنى والتسوية الطبقية ، واعتبار العمل بمثابة رأس المال الحقيقى طبقا لمبدأ Capital-travail (العمل رأس المال) لكارل ماركس ، وجدنا الفكرة الاسلامية ملخصة فى ثلاثة احاديث شريفة هى قوله عليه السلام :

1) ان فى المال لحقا سوى الزكاة (وهذا منطلق مشروع لتحقيق نوع من التسوية بين طبقات الامة) ·

2) انا خصيم من لم يؤد اجرة الاجير قبل ان يجف عرقه ·

3) من اكل اجرة الاجير حبط عمله ستين عاما ·

وقد افرد ابن خلدون فى مقدمته فصلا عنوانه « الكسب راس المال » حلل فيه هذه الفكرة قبل الزعيم الشيوعى كارل ماركس بعدة قرون ، وقد القيت محاضرة فى الموضوع فى قلب موسكو بدعوة من اكاديمية العلوم ·

ان احاديث الحسبة فى الاسلام — وهى تستهدف القضايا الاجتماعية والاقتصادية — تشكل دستورا للمدينة الفاضلة التى يتحقق فيها التوازن هو سر الجمال والكمال فى الحياة ، فالانسان الفاضل حقا هو الذى لروحه عدل ما يمنحه لجسمه وقد قال العالم باستور Pasteur «ان من قضى ساعتين فى كل يوم يجب ان لا يعتقد انه اضاع وقته وانما اعطى لروحه بعض حقها » ، وقد غضب الرسول عليه السلام عندما راى اقواما يتنزهون عما يفعله فقال معرضا باولئك «انى اصوم وافطر واقوم وانام واتزوج ومن رغب عن سنتى فليس منى» ·

وسئلت عائشة عما كان يفعله الرسول فى بيته فقالت فى جواب انسانى رائع : «لقد كان بشرا كالبشر» وهذا هو سر عبقرية الرسول لانه عرف كيف يوفق بين جوادب الحياة وقد اعتبر عليه السلام مصلحة المجتمع انعليا وهى اساس الفكر الاسلامى ، ومن ذلك اعتبر الامام مالك مبدأ «المصالح المرسلة» وتحكيم العادات كما اعتبر الرسول ان الحرية الحق هى التى لا تسطو فيها حرية على حرية وان ضابط السمو الروحى كامن فى عدم المساس بحقوق الغير وكرامة الغير ، وان المومن الحق لا يكذب الا فى اصلاح ذات البين ، وان من محبطات اعمال المومن اغتياب اخيه الانسان وقذف المراة المحصنة وقد دخلت يهودية قصيرة القد على الرسول وعنده زوجته عائشة فتبسمت هذه استخفافا فغضب عليه السلام وقال : «يا عائشة لقد نطقت بكلمة لو مزجت بماء البحر لما زجته !» ·

وقد خول رسول الاسلام المراة نصف ميراث الرجل معترفا لها بحق الاحتفاظ بمالها ومشاركة زوجها فى ماله بحكم النفقة المحتمة فكانت هى الرابحة ، كما حذر الرسول من الطلاق المشروع بقوله : «ابغض الحلال الى الله الطلاق » ملاحظا مع ذلك ان فصم عرى الزوجية ليس بالامر الهين وان «لا طلاق فى اغلاق» وكانه حل بهذه المرونة ما يواجه الانسانية اليوم من مضايقات ! وقد فضل الرسول تعدد الزوجات مع التشديد فى لزوم العدل «ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وهنا نوه كل من ويستر مارك Westermack الخبير الاوروبى فى شؤون الزواج والزعيم الاشتراكى ليوم بلوم Blum بالتشريع الاسلامى حيث فضلا هذا النظام على عادة اتخاذ الخليلات التى تقوض الاسرة الاوروبية ، على أن نظام الاقتصاد القبلى فى عصر الرسول عليه السلام كان يتطلب هذا التعدد الذى خفضه عليه السلام الى اربع نسوة بدل عشرة فازيد وقد اصدرت مصر بعد ثورة 1952 مرسوما اباحت فيه تعدد الزوجات فى الريف لاسباب اقتصادية ومن جهة اخرى وجد الرسول مجتمع عصره غارقا فى خضم الاسترقاق فوضع جملة من الكفارات ، لتشجيع العتق جاعلا حدا نهائيا للاستعباد خارج الجهاد المشروع وقد شرح ذلك سيدنا عمر بن الخطاب حيث قال مستنكرا : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » .

وقد وضع الرسول خطة رصينة للتخطيط العائلى تتلخص فى الحرية الواعية فاباح العزل مع الدعوة الى الانجاب فى حدود المسؤولية ، وكان عليه السلام يخاطب مائة الف صحابى فقط وهو عدد المسلمين فى عصره ، عندما قال «تكاثروا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة» ·

ومما يتصل ايضا بالمقوم الاقتصادى والاجتماعى فى الامة ضمان مستوى ثقافى تنمحى معه الامية تدريجيا ، وقد دلت الاحصاءات فى المغرب مثلا حسبما ورد فى كتاب « المغرب المجهول » لموليراس الذى صدر عام 1895 على ان قبائل باكملها فى شمال المغرب الاقصى كانت تعرف القراءة والكتابة لان المومن كان يشعر بان ايمانه لن يكتمل حتى يكون قادرا على قراءة القرآن · اما قول الرسول عليه السلام : «انا امة امية لانكتب ولا نحسب» فانه استهدف بذلك ضرورة الانطلاق من القاعدة مؤثرا اياها على هرم المجتمع فى مستواه العالى ! وقد وضع عليه السلام ضابط الحجر الصحى

عندما قال : «اذا كان الطاعون فى بلد فلا تدخلوه واذا كنتم فيه فلا تخرجوا منه» كما اصدر سلسلة من التشريعات التى تضع الحل المناسب لجملة من مشاكل الصحارى والبوادى التى انطلق منها الاسلام فقال عليه السلام « اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر دواء » وقد قام مؤتمر طبى انعقد بلندن عام 1930 بتحليل الجناحين فوجد فى احدهما عناصر كيماوية تعقم العناصر الموجودة فى الجناح الآخر ، وقد نشرت مجلة « التقوى » المصرية تقرير هيئة الاطباء فى ابانه ، كما اكد عليه السلام ضمن اربعمائة حديث طبى وردت فى رسالة خاصة للسيوطى قوله : « اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا ، احداهن بالتراب» . وفى ذلك اشارة الى ان جرثومة داء الكلب لا تستأصل الا بالتربة المسماة humus والتى هى احد عناصر البنسلين pénicilline وكان عليه السلام يداوى الجراحات بالريق ، وكشف الطب الحديث ان ريق الانسان يحوى من الفيتامين نحو مائة ضعف ما يوجد فى غيره .

وكان الرسول عليه السلام سباقا الى المرونة فى الدين فلم يستنكف عن مساندة بعض ما يندرج اليوم تحت شارة الدرجة او الموضة حيث دعا الى الرفق بالمراة «رفقا بالقوارير» وسمح لعائشة وام سلمة — كما فى صحيح مسلم — بحشى ثلاث حثيات على ضفيرتيهما فى الوضوء الاكبر دون فكهما مستجيبا بذلك الى رغبة عارمة عند المراة العصرية التى تريد الحفاظ على دينها دون ان تحرم نفسها من تزيينات الحلاقة الحديثة ، وقد جعل الرسول من المراة ربة البيت والاميرة على شؤونه . ولولا عاطفتها ورقة شعورها لاسند اليها الحكم فى منصة القضاء ، وقد احاطها عليه السلام بعطفه ودللها بما لم تحلم المراة المعاصرة بالتمتع به حيث اناط بها اختيار شريك حياتها حقها المالى كاملا ، فى حين ان المراة الغربية ما زالت ترزح فى القرن العشرين تحت ثقل نظام الشركة الزوجية

régime de la communauté matrimoniale

الذى يخول للزوج السيطرة المطلقة على مال زوجته وقد سمح القانون الفرنسى مؤخرا فى عهد الجنرال دوكول G. De Gaule بقسط يسير جدا من هذه الحقوق التى متع الرسول بها المراة المسلمة منذ اربعة عشر قرنا وقد صنفت فى ذلك كتابا باللغة الفرنسية عنوانه : « اضواء على الاسلام او الاسلام فى ينابيعه » حيث استقيت بعض مظاهر الفكر الاسلامى الصحيح من النصوص الصحيحة لاحاديث الرسول .

وهكذا اصدر سيدنا محمد عليه السلام فى سنته عن مبدا اليسر حيث قال « ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاّ غَلَبَهُ » وقال : « ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق » .

كما اصدر عليه السلام فى قوله وفعله كله عن مبدا الحب والرحمة والانسانية الشاملة فقال : « انما انا رحمة مهداة ، وخاطبه الحق فى قوله : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» فدعا الى الوحدة الحق بين اهل التوحيد واعتبر المجوس الزردشتيين اهل الكتاب لتوحيدهم وروى ابو هريرة قوله عليه السلام : «بشر من قال لاله الا الله بدخول الجنة» فلم يشترط عليه السلام فى الزلفى من الحق سوى توحيده وقد تعزز هذا الحديث بحديث آخر عن ابى هريرة ايضا : «احق الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبله او نفسه » ، وقد دعا الرسول الى حماية الحيوان جميعه قائلا : « فى كل كبد رطبة صدقة » وبذلك اصبح المجتمع الاسلامى الصالح غير محتاج الى «جمعيات الرفق بالحيوان»

ولا نقصد فى حديثنا هذا الا الآراء المستخلصة من احاديث الرسول عليه السلام حيث ضربنا صفحا عما ورد فى القرآن من آيات سبقت الكشوف العلمية بازيد من عشرة قرون وقد اصدرت مطابع (سيغرس) Seghers بباريس عام 1976 كتابا لموريس بوكاى Maurice Bucaille بعنوان : « التوراة والقرآن والعلم » اكد فيه انه لم يرد قط فى القرآن ما يخالف العلم ويتنافى مع معطياته .

وقد عزز الرسول التعادلية الاقتصادية بنظام الزكاة الذى يقتطع من الغنى نصف عشر ماله لفائدة الفقير دون ان يؤدي الامر بهذا الفقير الى تكاسل عن الكسب لان الكسب عبادة ولان الكد على العيال من اكد القربات وقد قال عليه السلام : « لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير من ان يسال احدا اعطاه او منعه» وقال : «اليد العليا (اى المعطية) خير من اليد السفلى (اى الآخذة) واعتبر الرسول من الاصناف الثمانية الذين لهم حق التمتع بالزكاة الفقير الذى له قوت سنة كاملة لان الرسول اراد ان يوفر للمواطن كل مقومات الحياة الوديمة الرغيدة بالاضافة الى القوت اليومى حتى يمكنه من اللباس الطيب ومن تربية ابنائه والسهر على صحتهم والحفاظ على كرامة الاسرة كنواة

طيبة للمجتمع الفاضل ذلك المجتمع الذى لا يكفى فى استكمال توازنه مجرد القيام بشعائر الدين من صلاة وصيام بل ان هذه الشعائر لن تؤتى اكلها حقا الا اذا قرنت بالتعاطف والتعاضد وتبادل الاحترام لحقوق المواطن ، ولذلك اعتبر الرسول من محبطات الاعمال كل ما اخل بكرامة المواطن فضلا عن المساس بحق من حقوقه ، وقد دعا الرسول عليه السلام الى ما فى الآية الشريفة : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» جاعلا من المستثنيات عدم قبول التوبة مالم يتم رد المظالم الى اصحابها اذ فى ذلك وحدة كفالة توازن المجتمع .

على ان تشريع محمد هو اصل مدونة نابليون التى ما زالت قاعدة التقنين والتنظيم بفرنسا ومن سبح فى فلكها ، وقد انعقد مؤتمر دولى للقانون عام 1951 اجمع عنى الاعتراف بأن الفقه الاسلامى هو فقه عالمى يصلح لان يكون تشريعا للانسانية جمعاء بما حواه من عناصر استكملت مختلف اوجه النظر فى المجالات الحضارية والاقتصادية والمعاملات .

تلك هى بعض مقومات المدينة الفاضلة كما ارادها رسول الاسلام ، ومن اروع المبادىء التى اقامها الرسول لحل جميع مشاكل هذا الكون فكرة النسبية relativité التى تميز بين العالمين : عالم الملك ، وعالم الملكوت ، وهما ما نسميه اليوم بعالم المحسوسات ، او المنظورات وعالم ما وراء الطبيعة ، او ما وراء المادة ، معتبرا كل ما يتصل بالانسان نسبيا ، وكل ما يتصل بالله مطلقا ، ولم يقع المعتزلة فى شرك تعطيل الصفات الالهية ، الا بحيادهم عن هذه القاعدة المثلى ، اذ بمبدأ النسبة نفهم قول الله تعالى : «وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون» وقوله : «فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» نظرا لاختلاف المقاسات والابعاد بين اطراف العالمين . وقد حمل رجل الفضاء فى سفينته القطة الصغيرة فعاد بها الى البسيطة وهى اكبر سنا من امها التى بقيت على الارض ، وقد خبط بعض العلماء والفلاسفة منذ عهد ارسطو فى علله الاربع المعروفة فى خصوص الدلالة على وجود الله وشك الفيلسوف الالمانى كانط فى كثير من مدارك العقل غير الخالص Raison pure

ولكن محمدا عليه السلام جاء بدليل بسيط عززه القرآن بقوله : «الله نور السماوات والارض» فكأنه أراد أن يقنعنا بأنه اذا كان العلم الحديث قد عجز عن استكناه ماهيه نور الكهرباء مثلا وهو طاقة محسوسة فكيف بنور يخرج عن حيز هذا الكون ، ذلك ان سر نجاح الانسان فى هذا العالم الرياضى الذى يعيش فيه هو أن يعرف قدره ولا يتجاوز حده ، والى ذلك دعا رسول الاسلام وقد كانت عاصمة برلين تصدر قبل الحرب العالمية الثانية عشرات المجلات حول الروح ، كانت كلها تخبط خبط عشواء لان الروح ليست من امر هذا الكون بل هى من امر الله ، وقد اختبر اليهود مدى صدق رسالة سيدنا محمد عليه السلام بسؤاله عن ماهية الروح ، فأجاب طبقا للآية الشريفة : « قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد حلل الرسول عليه السلام الكثير من المشاكل الفكرية التى تخبط فيها رجال الفكر منذ اعرق العصور وما زالوا يحاولون الكشف عن اسرارها وقد وهم بعض الفلاسفة حتى المسلمين ممن تأثر بالمدرسة الاغريقية عند ما وسموا دائرة العقل اكثر من اللازم ، فزعم ابن طفيل الاندلسى المغربى فى رسالة «حى بن يقظان» وابن سينا المشرقى فى « رسالة الطير ودوفسوى Defœ الاوربى فى قصة روبنسن كروزوى Robinson Crusoé ان الطفل الذى تربى فريدا وحيدا فى الغابة دون ملامسة البشر يمكنه بمجرد التفكير أن يحقق وجود الله ، ولكنهم لم يدركوا ما ادركه الغزالى انطلاقا من احاديث الرسول أن النفس والروح والقلب والعقل مدارك لطيفة ربانية واحدة من جملة ادواتها الالهام inspiration الذى به خططت النحلة منهج حياتها وهيكل خليتها بصورة غير قابلة للخطأ infaillible كما يقول علماء الاحياء وهو مصداق قول الله تعالى : «واوحى ربك الى النحل» وهذا الالهام هو الذى يتبلور عند المرأة فى صورة حدس intuition أى حس سادس أشار اليه الحديث المرسل او الموقوف بقوله «اللهم ايمانا كايمان العجائز» وهو ايضا منطلق علم اليوكا Yoga اليوم ذلك العلم الذى احصيت شخصيا بين وصفاته التجريبية التى اصبحت مناط جاذبية الشباب ــ نيفا وعشرين حركة ووضعة فى الوضوء والصلاة وحدهما ولا أريد أن اطيل فى هذا الباب مخافة أن ننزلق الى متاهات بعض المتصوفة التى جعل الرسول عليه السلام حدا مشروعا لابعادها عندما قال «أمرنا ان نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» فضرب عليه السلام اروع المثل لوجوب الالتصاق بالارض دون العروج الى الاجواء المتناهية حتى نظل منطقيين واقعيين فى شؤون هذه الدنيا وفى علاقاتنا مع بنى الانسان .

تلك فذلكة مقتضبة جدا لم نستهدف من خلالها سوى لمسات عابرة لحقائق لا يمكن استيفاؤها فى عرض موجز غير اننى افسح المجال لزملائى المؤتمرين وخاصة اخوانى المسيحيين لا لقاء ما يعرض لهم من اسئلة نستكمل بالاجابة عنها مالم نتمكن من تفصيل القول فيه.

الرحلات الحجازية وصلة بين شقي العروبة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

لا يوجد فى تاريخ الانسانية موقع جغرافى حج اليه ملايين البشر فى كل جيل مثل الجزيرة العربية ، ولا يوجد موطن استقطب خمس الانسانية فى طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ، الوطن الروحى الاول لكل مؤمن فادعاء الاغتراب فى مهبط الوحى ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ فى عقيدة كل مؤمن يستشف فى مثوى الرسول رمز الرحمة والمثالية واشعاع الروح وايماض الوجدان فلذلك لم تعرف مواقع السياحة الدولية مسارا اكثر استرواحا واشد استمراحا من هذه الارض الطاهرة التى ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة ابراهيم الخليل الاب الثانى للبشرية تذكى الافئدة والمشاعر خلال اربعة آلاف السنين وشاء القدر الذى هيأ لهذه البقعة المقدسة ان تكون منارا للانسانية جمعاء — ان تكون ايضا منطلق الحضارات التى اشعت على الرافدين ونهر بارادا والبحر المتوسط وقد جمعنا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الاثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على ان الجزيرة العربية هى منبثق الحضارات السامية التى كيفت اقاليم الهلال الخصيب وماوراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بان العرب البائدة الاصيلة هى التى نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقرت فى مناطق بابل الى آسيا الصغرى ومنها انطلق الآخيون والدوريون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى بحر ايجه لتاسيس ممتدنات اليونان . (1) فلا بدع اذن ان تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضارى فى تاريخ المستقبل لانها هى النبع الوحيد الذى يفيض ليغمر تواريخ الانسانية فى كل مكان وخاصة فى المعمور الذى رفرفت عليه الوية الاسلام .

وقد تجلت هذه النفحات فى آلاف الرحلات التى دونها المسلمون طوال ازيد من الف عام فى مختلف بقاع الارض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم فى طريقهم اللاحب الى الحرمين

وقد يكون من العبث محاولة تقصى هذه النفحات بالنسبة لاقليم بذاته فضلا عن المجموع غير ان استعراضا موجزا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة فى مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى اسهام الفكر العربى المسلم فى هذا الشق الغربى للعالم العربى فى دعم مقومات الكيان الذى هو من ابرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا .

وهاكم نبذة يسيرة ونموذجا مقتضبا عن الرحالين المغاربة :

— ابراهيم السوسى العينى (المتوفى عام 1199 هـ / 1784 م) .

---

1) راجع بحثا حول «اللغة الام» فى مجلة اللسان العربى م 11 ج 1

له رحلة الى الحجاز فى مجلدين

وقف على نصفها بخط المؤلف فى مجلد المرحوم العلامة المختار السوسى فى قرية داود (قبيلة اكلو بضواحى تزنيت جنوبى المغرب) وقد اختصرها محمد ابن مسعود المعدرى ووقف على الاختصار كذلك الشيخ المختار السوسى وهو مبتور كالاصل

ـ ابن ابى عسرية احمد الفاسى الفهرى (1137 هـ / 1724 م) ·

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب «نشر المثانى» فى ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوى السريفى ونسبها له سلطان المغرب مولاى سليمان فى كتابه «عناية اولى المجد» ولعلها ضاعت

ـ الازرقى احمد بن محمد ابو محمد اسحاق الخزاعى الفاسى له «تاريخ مكة» (نسخة بالمانيا الشرقية عدد 1705) ·

ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى (779 هـ / 1377 م)

له «تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار» وهى لا تزال مفقودة لم ينشر منها الا قسم اختصره ابن جزي (بأمر السلطان ابى عنان المرينى) توجد نسخة منها بمكتبة جامعة القرويين بفاس (عدد 1285) وست نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط من عدد (151 الى 1356) ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط (عدد 1376) · طبعت مرارا اعوام 1278 / 1322 / 1346

ـ ابن جبير محمد بن احمد الكنانى الاندلسى (614 هـ / 1217 م)

له رحلة اسمها « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار» نشرها ويليام رايت Wright الانجليزى عام 1269 هـ / 1852 م) · كما نشرت فى ليدن عام 1325 هـ 1907 م ومخطوطاتها نادرة توجد نسخة مبتورة بالزاوية الحمزاوية بالمغرب واخرى مبتورة ايضا بالمكتبة الملكية بالرباط (عدد 5855)

ـ ابن جزى محمد بن احمد (741 هـ / 1340 م)

له فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال المشرق ومن بينهم شيوخ الحجاز

ـ ابن جعفر احمد الكتانى (1340 هـ / 1922 م)

له فهرست عد فيها اشياخه المشارقة مع نصوص اجازاتهم · توجد نسخة عند ولده الاستاذ محمد ابراهيم فى ثلاثة كراريس ·

ـ ابن جعفر محمد بن ادريس الكتانى (1345 هـ / 1926 م) ·

له «الرحلة السامية للاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية» الفها فى رحلته الاولى عام 1322 هـ / 1904 م ومات دون إتمامها والموجود منها سبعة كراريس ·

ـ ابن حسون احمد بن العربى الوزانى

له «الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكية (فى 8 كراريس) رحل الى الحجاز عام 1269 هـ / 1852

توجد نسخة بخط المؤلف فى خزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى واخرى فى الخزانة السودية بفاس ·

ـ ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبتى (المتوفى بفاس 721 هـ / 1321 م)

له رحلة تسمى «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة» (فى خمسة اجزاء مصورة بمعهد مولاى الحسن بتطوان وتوجد نسخة بالاسكوريال) ·

ـ ابن سعيد المغربى على بن موسى العنسى (685 هـ / 1286 م) ·

له « النفحة المسكية فى الرحلة المكية » (بالاضافة الى رحلته « عدة المستنجز ») ·

ـ ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الطالب (ولد عام 1301 هـ / 1883 م) .

له « الرحلة الكبرى فى هذا العالم برا وبحرا » (رحل الى الحج عام 1327 هـ / 1909 م) وهى تقع فى اربعة اجزاء طبع الاول منها بالمطبعة الجديدة بفاس ·

ـ ابن طوير الجنة احمد المصطفى الصحراوى الحميرى الشنجيطى

له « رحلة المنى والمنة » قام بها بعد عام 1245 هـ/ 1829 م وهو غير ابن الطوير عمر المراكشى الذى شهر بالحجاز بابى الخطاب السوسى (المتوفى 622 هـ / 1225 م) ·

ـ ابن الطيب محمد الصميلى المتوفى بالمدينة المنورة 1170 هـ / 1756 م ·

له ثلاث رحلات منها رحلة قام بها عام 1139 هـ / 1726 م توجد نسخة فريدة منها فى خزانة ليبسيك Leipzig (بالمانيا الشرقية) وقف عليها الاستاذ محمد الفاسى ·

ـ ابن عثمان محمد المكناسى وزير السلطان المولى سليمان (1202 هـ) 1787 م)

له «احراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب» (نسخة لابن زيدان ضمت الى المكتبة العامة بالرباط) ·

ـ ابن العربى المعافرى ابو بكر محمد بن عبد الله (543 هـ / 1148 م) ·

له رحلة توجد نسخة منها فى مكتبة السيد عبد الحى الكتانى التى ضمت الى المكتبة العامة بالرباط وهى فى اسفار ذكرها الناصرى فى رحلته واشار اليها المراكشى فى الاعلام ج 5 ص 223) ·

ـ ابن مليح محمد بن احمد السراج ·

له «رحلة حجازية اسمها» انس السارى والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الاعاجم والاعارب » ·

ارتحل من مراكش عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الركب الحجازى (نسخة بالمكتبة الكتانية فى عشرة كراريس عدد 3152) · وقد حققها الاستاذ محمد الفاسى ·

ـ ابن ناصر محمد بن عبد السلام (1239 هـ / 1823 م) ·

له «الرحلة الكبرى» فى سفرين رحل عام 1196 هـ 1781 م اختصرها المراكشى فى الاعلام (ص 193 ـ 233) ـ توجد نسخة فى خزانة تامكروت فى جزء ضخم ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 (النصف الاول) والمكتبة الملكية بالرباط عدد 147 ·

له رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ / 1776 م (مجلد وسط فى الخزانة الاحمدية) ·

ـ ابو راس محمد بن احمد بن عبد القادر الناصرى المعسكرى الجزائرى الجليلى (1239 هـ / 1824 م) ·

له عجائب (او غرائب) الاسفار (نسخ بالجزائر عدد 1632 وتلمسان عدد 96 وباريس عدد 5114) ·

ـ ابو القاسم بن يوسف التجيبى السبتى رحل الى المشرق عام 696 هـ / 1295 م ·

له رحلة وقف عليها ابن حجر (كما فى « الدرر الكامنة ») فى ثلاثة مجلدات ضخام حذا فيها حذو ابن رشيد الذى رحل قبله بعشر سنوات وزاد هو تضمين الرحلة مشيخته مستوعبة ·

ـ احمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالى (1175 هـ / 1761 م)

له رحلة الى الشرق ·

ـ احمد بن عبد القادر بن على القادرى يدعى علالا عاش سبع سنوات فى القاهرة وتوفى بفاس 1133 هـ / 1721 م ·

له رحلة سماها : « نسمة الآس فى حجة سيدنا ابى العباس» (اى احمد بن معن الذى رافقه الى الحج عام 1100 هـ / 1689 م) توجد فى المكتبة الملكية عدد 8787 وكراريس منها فى الخزانة الفاسية ·

ـ احمد بن على بن محمد دينية الرباطى (1282 هـ / 1864 م) ·

له رحلة الى الحج (1267 هـ / 1850 م) ذكرها حفيده فى كتابه «النسمات الندية (طبعة الرباط 1936) ·

ـ احمد بن محمد احزى الهشتوكى ·

له رحلة اسمها «هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام» (توجد بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء رقم 276) وقد شرع فى هذه الرحلة عام 1096 هـ 1684 م ·

ـ ادريس بن عبد الهادى الشاكرى (1331 هـ / 1913 م)

له رحلة حجازية فى كراستين توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 د ونسخة اخرى فى مكتبة الكلاوى ، وقد حج عام 1288 هـ / 1871 م وفى رحلة ثانية الى الحج توفى بالحجاز ·

ـ الحسن اليوسى له رحلة جمعها ولده محمد قام بها عام 1101 هـ / 1689 م

توجد نسخة منها فى المكتبة الملكية بالرباط عدد 2343 ·

ـ عبد الرحمن المدعو الغنامى الشاوى ·

له رحلة اشار اليها صاحب «صفوة من انتشر» ونقل عنها فى «نزهة الحادى» ·

— عبد السلام بن محمد بن المعطى السرغينى العمرانى المراكشى ·

له رحلة قام بها مع شيخه سيدى محمد الكتانى عام 1321 هـ / 1903 م توجد نسخة منها بخزانة الكتانى بالمكتبة العامة بالرباط ·

— عبد القادر بن ابى جيدة احمد الكوهن ·

له رحلة حجازية توجد نسخة منها بخزانة الكتانى

— عبد الله بن احمد ابو مدين الرودانى الدرعى (1137 هـ / 1723 م) ·

له رحلة حجازية ينقل عنها ابراهيم العينى فى رحلته (نسخة بخزانة تمكروت فى مجلد) ·

— عبد الله بن محمد الوردى المراكشى (كان حيا عام 999 هـ / 1590 م) ·

له رحلة حجازية (ذكرها ابن القاضى فى درة الحجال ج 2 ص 342) ·

— عبد الله بن محمد بن ابى بكر ابو سالم العياشى (1090 هـ / 1679 م)

له رحلة اسمها «ماء الموائد» فى مجلدين طبعت بفاس عام 1316 هـ / 1898 م

اختصرها محمد بن الحسن بنانى (المكتبة الملكية نسخ عدد 629 الى 5259) ورحلة اخرى سماها «تعداد المنازل» الفها لتلميذه احمد بن سعيد المكلاتى نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى)

— عبد المجيد بن على الزبادى المنالى الفاسى 1209 هـ / 1794 م

له رحلة سماها «بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله الحرام» توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط رقم 1808 د (فى 184 ورقة)واخرى بالخزانة الفاسية وقد تضمنت قصيدة رائية فى 129 بيتا جامعة لمراحل الحجاز من مصر الى مكة مع مناسك الحج عليها شرح اسمه «اتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك لاحد تلامذة تلاميذ الزبادى ·

— عبد الواحد بن الصنهاجى السوسى (1135 هـ 1722 م)

له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكى فى الطبقات

— العربى بن على المشرفى المعسكرى المتوفى اوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر له«الرحلة المريضة فى اداء الفريضة» يوجد طرف منها فى الخزانة السودية بفاس

— العربى بن محمد الدمناتى

له رحلة ذكرها ابو عيسى المهدى بن سودة فى ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ / 1828 وهى تعد مفقودة

— محمد بن احمد بن عبد الله الحضيكى

له رحلة حجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 896) واخرى بالمكتبة الملكية عدد 405

— محمد بن الحسن السبعى

له رحلة قام بها عام 1310 هـ / 1892 م (توجد نسخة منها بمكتبة الكتانى الملحقة بالمكتبة العامة بالرباط) ·

— محمد بن سعيد الرعينى الفاسى (778 هـ / 1376 م) ·

له رحلة نظم فيها مراحل الحجاز (جذوة الاقتباس ص 147) ·

— محمد بن سليمان بن داود الجزولى (863 هـ 1458 م)

له رحلة ذكرها ابن القاضى فى «لقط الفرائد»

— محمد بن عبد القادر الاسحاقى المدعو الجيلالى المتوفى بعد 1150 هـ / 1737 م

له رحلة قام بها عام 1143 هـ / 1730 م مع السيدة خناثة بنت بكار ام السلطان مولاى عبد الله بن المولى اسماعيل العلوى (تقع فى مجلدين يوجد الاول بخزانة جامعة القرويين) عدد ج ل 80 — 383 ·

— محمد بن عبد الله الولاتى الشهير بمولاى الشريف (1101 هـ / 1689 م)

له رحلة حجازية ربما ضاعت (الاعلام للمراكشى ج 5 ص 48) ·

— محمد (اوحم) بن عبد الوهاب الوزير الغسانى (1119 هـ / 1707 م)

«رحلة الوزير فى افتكاك الاسير»

له رحلـــة اخرى الى الحجاز

— محمد بن علي الرافعي التطوانـــي

له الرحلة الشرقية الحجازية (توجد نسخة منها بخزانة الاستاذ محمد داود بتطوان) (تاريخ تطوان ج 1 ص 312) ·

— محمد بن على الطرابلسى المعروف بزغوان

له رحلة اسمها «النفحات القدسية فى الرحلـــة الحجازية» (توجد نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عـــدد 1836 د (فى 103 ورقات) ·

— محمد بن على المعروف بالعياشى (لقبا لانسبا)

له رحلة حجازية ذكرها عبد المجيـــد بن علـــى الزبادى المنالى فى رحلته حيث وقف عليها فى مجلد بخط المؤلف بخزانة رواق المغاربة بالازهر الشريف ·

— محمد بن محمد المرابط الدلائـــى الفـــاسى (1099 هـ / 1687 م)

له الرحلة المقدسة (136 بيتا) ذكـــر فيها منازل الحج من فاس الى المدينة المنورة (راجع البدور الضاوية لسليمان الحـــوات)

—محمد بن محمد بن على العبدرى المتوفى آخر المائة السابعة ·

له رحلة قام بها عام 688 هـ / 1289 م تقـــع فى مجلد وسط توجد نسخ بالزاوية الحمزاوية بالصحراء المغربية وبالخزانة الاحمدية بفاس وبخزانة جامعـــة القرويين (عدد د 1012) والمكتبة الملكية بالرباط (1351 6594 / 869 / 2810 وجامع الزيتونة (53) والمكتبة الوطنية بباريس (2283) وليدن (801) والاسكوريال (1738) اختصرها ابن قنفذ فى كتاب سماه «المسافة السنية فى اختصار الرحلـــة العبـــدرية» (وقـــف على الاختصار بسوس الشيخ المختار السوسي (راجع كتابه « من خلال جزولة ») ·

وقد طبع الرحلة الاستاذ محمد الفاسى عـــام 1968 ، وكان لرحلته اثر كبير فى الشرق حيث قرا على شيوخ جلة وتتلمذ عليه آخـــرون ·

— محمد بن محمد بن محمد التامراوى (1285 هـ 1868 م)

له رحلة قام بها عام 1242 هـ اوردها بنصهـــا محمـــد المختار السوسي فى كتابـــه المعسول (ج 8 ص 198 — 213) ·

ومن فوائد الرحلة استيراد المؤلف لكتـــب كثيرة بخط مشرقى عززت التبادل الثقـــافى بـــين المشرق والمغـــرب (1) ·

— محمد بن منصور العامرى التازى (المتوفى حوالى 1170 هـ / 1756 م)

له «الرحلة العامرية» وصف فيها المراحل مـــن تازة الى الحرمين والشام وهى همزية نظمها فى 335 بيتا عام 1152 هـ توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بفاس ونسختان بمكتبة الاستاذ محمد المنونى بمكناس احداهما بخط المؤلف وقد نشر المنونى نص هذه الرحلة فى كتابه «ركب الحج المغربى» ص (88)

— نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غـــازى المكناسى (النيل ص 272) ، وهنالك رحلات اخرى غير هذه يتعذر استيفاؤها وانما اعطينا نماذج لنلمس مدى اهمية هذا النوع من التراث فى القاء اضواء كاشفة على جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والاقطـــار الواقعة فى طريق الحجيج وهى دول المغرب العـــربى وليبيا ومصر بالنسبة الينا نحن المغاربة الرابضين بين البحر المتوسط والمحيط فهناك مثلا رحلات سوسيـــة كثيرة منها فى خصوص القرن الثانى عشر فقط علاوة على ماذكرنا رحلة ابى مدين ورحلة اليبوركى ورحلتا احمد احوزى الكبرى والصغرى ورحلة عبد الواحـــد ابن الحسن الصنهاجى وغيرهم ·

ولا توجد فى جغرافية «المسالك والممالك» قطعة من الارض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثـــل الطرق الكبرى المؤدية الى الحجاز التى صنفت فيها مآت الكتب المختلفة المنازع والاساليـــب ومآت القصائـــد الحافلة بوصف المنازل والمراحل علاوة على ما تطفح به من مشاعر الحنين التى جعلت من هـــذه الطـــرق لا متعبدات فقط بل مجمعات استوثقت عبرها الصلات بين الشعوب الاسلامية ومبادلة الاجازات بين العلماء وتلاقح الفكر العربى والاسلامى مما لم يعرف له نظير حتى بعد عصر النهضة وما طرا من سهولة وسرعة على المواصـــلات ·

(1) راجـــع كتابنا «رسل الفكـــر بـــين الشرق والغرب» فى مختلف العصور ·

بل ان طرقا صوفية سنية كطريق ابى محمد صالح دفين آسفى (وهو من رجالات القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيرى)اقتصر شعارها الصوفى على ترحيل الحجيج من المغرب الى الحجاز وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل وخاصة خلال الصحراء وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة يتواكبون فى ركب موصول يسمى «الركب الصالحى» يستهدف بالاضافة الى اداء فريضة الحج توثيق الرباط بين الشعوب الاسلامية وكانت لافواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة او مراكش او فاس ومنها تتخذ طريقها متكاتفة عبر ما سماه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء اى فقهاء المذهب المالكى الذين كانوا ينحازون عن متجمعات الخوارج فى بعض مناطق المغربين الاوسط والادنى للانسلال من بلاد (نزان) الى ارض الكنانة ·

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس واثبات سجلوا فيها اجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات وكانت الصلات حقا متبادلة الا انها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق ومع ذلك فان فكرهم النابع من اجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل الى المغرب مع العائدين فيسهم بحظ وافر فى اثراء المكتبة العربية الاسلامية فى المغرب العربى ومازالت مكتباتنا العامة والخاصة تزخر بنوادر المخطوطات الشرقية التى ضاع بعضها فى الشرق واحتفظ المغرب باصولها الفريدة ويندهش البحاث المشرقى عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مآت المصنفات الاصيلة التى لا تعرف مكتبات الشرق الا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقى المعروبة لاحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك وهو عمل يجب ان لا نتوانى فى وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لانه لا يقل اهمية عن باقى مقومات تراثنا ودعامات كياننا الحضارى ، وقد حاولنا استيفاء ما لدينا من عناصر هذا التراث فى المعلمة التى اصدرناها بعنوان «الموسوعة المغربية للاعلام الحضارية والبشرية » والتى طبع منها لحد الآن خمس فصلات من خمسين تحتوى بالنسبة لكل عالم مغربى على منجزاته العلمية مثبتة بأرقامها فى سجلات المكتبات المغربية العامة ويبذل الآن « معهد المخطوطات » التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قصارى الجهد لتصوير التراث وجعله فى متناول الدارسين والباحثين من اجل تحقيقه وطبعه ولنضرب امثلة بمدى تنوع مجالات ومجالى جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها وبعضها منتشر فى مخطوطات التراث فاذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة الى الشرق للحج او الجوار دون تصنيف رحلات خاصة عن اسفارهم وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائعى فى بلورة التبادل بين اجزاء العالم الاسلامى وقد كتبنا بحثا بعنوان «رسل الفكر بين المشرق والمغرب» لمحنا فيه الى اهمية هذه الجوانب ·

ومن هؤلاء : احمد بن عبد الله الغربى الرباطى الدكالى (1178 هـ / 1764 م) رحل الى المشرق عام 1140 هـ / 1727 م واخذ عن شيوخ مصر والحرمين وطار صيته فى الحجاز فاصبح احد سفراء الشرق لا فى المغرب الاقصى وحده بل من فاس الى (داكار) نظرا للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلماؤها بين الشناقطة واهل السنغال من خلال مذهب واحد تغلغلت جذوره فى قلب الحواضر والصحارى وهو مذهب امام المدينة مالك بن انس ويكفى ان نلاحظ ان المسمى على بن عبد القادر الشرقى باشا السودان (اى السودان الغربى او السنغال الحالية) هو الذى تراس ركب حجيج السودان عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الرحالة المغربى ابن المليح الذى اشرنا آنفا الى رحلته حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) الى فاس تتجمع لتاليف قوافل ما يمكن ان نسميه اليوم بافريقيا الشمالية الغربية ·

وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يضعوا الرحلات صنفوا فى «مناسك الحج وءاداب الزيارة» كاحمد بن قاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م) الذى توجد مخطوطة كتابه فى المكتبة العامة بالرباط عدد 1821، واحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى ·

ومن المغاربة الذين جاوروا فى الحجاز وطافوا المعمور ناقلين روائع الفكر الاسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى الى مختلف الجهات :

— سليمان بن احمد الطنجى المتوفى قبل 440 هـ 1048 م

(جذوة المقتبس ص 208 طبعة 1952) ·

— موسى بن ابراهيم ابـو هارون الاغماتـى المحدث (516 هـ / 1122 م) الذى التحق بعد مقام فى الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر واقام بنيسابور (طبقات السبكى ومعجم ياقوت الحموى)

— على بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسى الاصولى المفسر الحافظ (كان حيا عام 726 هـ / 1325 م) الذى استقر بعد فى « صفد » قبل العودة الى المغرب ·

— محمد بن موسى المراكشى المكى الذى سمع من شيوخ مصر ثم رحل الى الشام والقدس واليمن حيث ولى مدرسة الناصر واقام بها الى أن توفى عـام 823 هـ / 1420 م (الاعلام للمراكشى ج 4 ص 50 / ذيول طبقات الحفاظ) ، وقد اجاز له ابن عرفة (شذرات الذهب ج 7 ص 162) ·

— محمد بن محمد العقاد المكـى (1030 هـ / 1620 م) الذى مدح المنصور السعدى ملك المغـرب بموشحة عارض فيها موشحتى ابن الخطيب وابن سهل وتولى قضاء اليمن بتدخل المنصور لدى خاتان ملـك الاتـراك ·

— محمد المجيدرى اليعقوبى المغربى الذى كان احد اربعة لم يبلغ احد مبلغهم فى عصره وهو القـرن الثانى عشر الهجرى وكانت له جولات فى الحجاز وسائر اقطار الشرق ، وقد انفرد بعض طؤلاء الشيوخ علماء الشرق او بعض عواسم الشرق بالتاليف حيث صنف (جازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتـى «الدرة المضية فى تاريخ الاسكنـدرية» فى مجلـدات «والمستفاد من شيوخ بغداد» (درة الحجال ص 137) وماناب عواصم الشرق هو قل من كثر مما كتب حـول الحرمين الشريفين ·

— عبد الله السوسى الاديب الشاعر الذى اقام بتونس وفاق اقرانه ثم توجه الـى الشرق وخـاصة الحجاز واستفاد من علمائه وعاد الى افريقية حيـث نقله الامير على الى تونس (عيون الاريـب عما نشا بالمملكة التونسية من علم اديب للشيخ محمد النيفرج 2 ص 20 طبعة تونس 1351) ·

محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى توفى بمكناس (1313 هـ / 1895 م) (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 178 — مخطوط) ·

— محمد الفاطمى بن الحسين الصقلى الشاعر المحاضر دفين المدينة المنورة (1311 هـ / 1893 م) ·

له تاريخ فى علماء عصره (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 157 — مخطـوط) ، وقد افتتحه بشيخه على بن ظاهر الوترى مسند المدينة المنورة (1261 هـ / 1322 م) الذى زار المغرب مرتين (1287 و 1297) واخذ عن علماء مغاربة جلة وابن ظاهر هذا هو الذى احيا موات الرواية بالمغرب وانعشها بالمشرق (الاعلام للمراكشى ج 7 ص 135 — مخطوط) ·

— محمد بن احمد بن سالم الصباغ المكى الذى توفى فى رحلته الى المغرب (1321 هـ / 1903 م)

له « تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام » (الاعلام للزركلى ج 6 ص 247 / ملحـق بروكلمان ج 2 ص 815 / دار الكتب المصرية ج 5 ص 125) ·

وهنالك كتب اخرى انتشر خلالها تاريخ رجالات الفكر من علماء الحجاز ككتاب «ايماض البرق فى ادباء الشرق» لابـن الابـار البلنسى (658 هـ / 1259 م) واسماء شيوخ مالك لابن خلفون (636 هـ / 1239 م) · (توجد نسخة منه بالاسكوريال ف 1747) ومسند حديث مالك لابن الدباغ خلف بن قاسـم (393 هـ / 1003 م) وشروح الموطا كشرح ابن صاف الفاسى (642 هـ / 1244 م) و«تهذيب المسالك فى نصرة مذهب مالك» لابن دوناس الفند لاوى (543 هـ / 1148 م) (توجد نسخة منه فى المكتبة الحمزاوية بصحراء المغرب) والتمهيد لابن عبد البر وشروح ابى بكر بن العربى المعافرى وشرح ابن السيد البطليوسى (521 هـ / 1127 م) و «المرهب فى شرح الموطا» لابن الصفار يونس (429 هـ / 1038 م)

تلك نماذج مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما يمكن أن نستفيده من بعث تراثنا العربى الاسلامى فى مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كفيل بالاسهام فى دعم تاريخ العروبة والاسـلام وخاصة فى مهـدهما بالجزيرة العربية عموما والحرمين الشريفين خصوصا كما يتضح لنا منها مدى متانة الروابط وعمق الصلات التى كانت تجمع بين شتى العروبة شرقا وغربا والتى جعلت من ارض الحجاز مهبطـا لانشـدتها ، وملتقـى لعلمائها ومنزلا روحيا لابنائها على مر العصور .

2 - جهود المنظمة

أ - مؤتمر الشؤون الثقافية فى الوطن العربى

ان المؤتمر الاول للوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية المجتمع فى عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية من التاسع والعشرين من ذى الحجة 1396 هـ الى الثانى من محرم 1397 الموافق للعشرين من ديسمبر / كانون الاول الى الثالث والعشرين منه عام 1976 م بدعوة من **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** ·

ـ ايمانا منه بأن ثقافة الامة هى توام شخصيتها والمعبر الاصيل عن تطلعاتها وأمانيها ، والدعامة الحقيقية لوحدتها الشاملة ، وان الحفاظ على تراثها وانتقاله بين اجيالها المتعاقبة وتجديده هو ضمان تماسك الامة ونهوضها بدورها الابداعى فى مجال الحضارة الانسانية ·

وادراكا منه لاهمية وضع «سياسة ثقافية عربية موحدة» واضحة الاهداف والمعالم والوسائل تلتزم بها الدول العربية ·

وتأكيدا منه لضرورة دعم مجالات التعاون الثقافى العربى ، وتحقيق تنسيق متكامل شامل تعزيزا للوحدة الثقافية العربية ·

واقتناعا منه بالدور الحضارى الرائد لثقافة الامة العربية وقدرتها على متابعة رسالتها لخير البشرية واغناء الفكر الانسانى وتعميق التواصل بينها وبين الثقافات الاخرى ·

وتقديرا منه لمسؤولية الامة العربية فى تقديم الثقافة العربية والتراث الاسلامى ونشر اللغة العربية بين المسلمين وخاصة فى افريقيا وآسيا ·

وبعد ان استبان الجهود التى تبذلها الدول العربية فى سبيل بناء الشخصية الثقافية العربية والتغلب على عوائق العمل الثقافى ·

واذ يسجل تقديره للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما تنهض به من نشاط ثقافى وما اضطلعت به من برامج ومشروعات ، وما قدمت الى هذا المؤتمر من وثائق ودراسات وبحوث ·

· يعلن :

1) تصميم الامة العربية على القضاء على جميع آثار الاستلاب الثقافى والغزو الفكرى الظاهر والمستتر اللذين تعرضت لهما فى الماضى عن طريق الغزوات الاستعمارية ودفع الصور الجديدة من الاستعمار وخاصة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى ·

ويتمثل هذا الاستلاب الثقافى ـ فيما يتمثل ـ فى :

ـ محاولة فرض مظاهر الاغتراب اللغوى والفكرى والثقافى ·

ـ محاولة طمس معالم الشخصية الثقافية العربية ·

ـ محاولة اغراق المجتمع العربى بمواد مناهضة للقيم الثقافية الصحيحة ·

ـ العمل على تزييف التاريخ العربى والاسلامى ·

ـ العمل على تغيير البناء الاجتماعى والسكانى ·

ـ العبث بالممتلكات الثقافية وانتهاك المقدسات الدينية ·

2) اهمية التدعيم والتطوير للدور الحضارى العالمى للامة العربية ، لخير البشرية ، واستعادة الرقعة الثقافية التى افقدها اياها الاستعمار خلال القرون الاخيرة ·

3) ضرورة وضع سياسة ثقافية عربية موحدة تكون سبيلا للتنمية الثقافية وركيزة لخطة عامة للتنمية الشاملة ·

4) ضرورة تحقيق التكامل والتنسيق بين عمل اجهزة الثقافة واجهزة التعليم واجهزة الاعلام فى الاقطار العربية لضمان مزيد من فعالية العمل الثقافى وتوسيع نطاق الخدمات الثقافية للمواطنين ، اسهاما فى تكوين المواطن العربى تكوينا سليما معاصرا نابعا من اصول عروبته وقيمه الدينية ·

5) تاكيد اعتبار الثقافة حقا لجميع المواطنين ، مرادفا لحقهم فى التعليم ولحقوقهم السياسية والاجتماعية ·

6) وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية لغة للتعليم فى جميع مراحله وبجميع انواعه ، وفى البحث العلمى ، ووسائل الاعلام والثقافة ، باعتبار ان اللغة القومية هى اهم دعامة للوحدة ، وهى الوعاء الصحيح للثقافة الاصيلة للامة ، وان اصالة التفكير العلمى لا تترسخ فى الامة الا من خلال لغتها ·

7) شجب ما تقوم به سلطات الاحتلال الصهيونى فى فلسطين من عدوان على الثقافة العربية هناك فى جميع مظاهرها ، وتاكيد الحرص على التمكين للثقافة العربية فى المناطق العربية المحتلة من القيام بدورها ، وتادية رسالتها ·

8) حرص الامة العربية على تعاون حكوماتها واجهزتها المتعددة لتحقيق ما تضمنه هذا البيان وما تتضمنه توصيات هذا المؤتمر عن طريق برامج ومشروعات محددة تنهض بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفق خطة طويلة المدى بالاضافة الى جهود الحكومات العربية فى اطار من التنسيق المتكامل ·

وتعبيرا عن عزم الدول العربية على اتخاذ تدابير فعالة لتنفيذ هذا البيان والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ولازالة العوائق التى تعترض مسيرة التنمية الثقافية والتقدم الحضارى للامة العربية ·

فان المؤتمر يؤكد :

ا ـ اهمية الخطوات والدراسات التى تقوم بها المنظمة لانشاء صندوق عربى للتنمية الثقافية فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ·

ب ـ اهمية توصيته بتكوين لجنة دائمة للثقافة العربية فى المنظمة يكون من مهامها متابعة تنفيذ توصيات هذا المؤتمر والاعداد للمؤتمرات التالية ·

ب- نشـــر اللغـــة والثقافـــة العـــربية

قدم السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى المجلس التنفيذى وثيقة بشأن اجراء دراسة ترمى الى تجميع الجهود العربية وتوحيدها لنشر اللغة والثقافة العربية نلخصها فيما يلى :

تبيل انعقاد المؤتمر العام فى دورته العادية الرابعة (ديسمبر / كانون اول 1975) ورد للادارة العامة للمنظمة مذكرة من دولة قطر تشرح فيها تجارب بعض الدول الاجنبية فى نشر لغاتها وثقافتها فى الخارج وركزت فيها على تجربة ناجحة للمجلس الثقافى البريطانى استوحتها من تقرير المجلس السنوى لعام 73 / 1974 م ، واوضحت فى المذكرة ان الدول العربية بدأت مؤخرا فى بذل جهود موفقة فى سبيل نشر اللغة والثقافة العربية فى الخارج ، غير انها تبدو قليلة الحجم اذ قيست باهمية اللغة العربية فى عالم اليوم وبنهضة الامة العربية فى واقعها المعاصر وتشوق بعض الدول الاسلامية الى التعرف الى شؤون دينها ولغة القرآن الكريم ، ورغبة بعض الجاليات الاجنبية فى تعلم اللغة العربية لاسباب متباينة واهداف مختلفة ، كما ان الجهود المبذولة تبدو مبعثرة من ناحية فاعليتها وآثارها الايجابية، واقترحت دولة قطر ان تتبنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسة امكان قيام مؤسسة عربية تهدف الى توحيد وتجميع الجهود العربية لنشر الثقافة واللغة العربية فى الخارج .

لذلك دعت المنظمة عددا من الخبراء المتخصصين والمشتغلين فى هذه القضايا فى مختلف الدول العربية ، وشكلت لجنة ممن سمحتظروفهم بالمشاركة فى اعمالها، اجتمعت خلال الفترة من 31 / 10 — 4 / 11 / 1976م ودرست الوثائق التى عرضتها المنظمة ، واعدت تقريرا عما انتهت اليه دراستها ، واوصت بضرورة عقد اجتماع آخر فى النصف الاول من عام 1977 ، لاعداد